أساليب تربية العقل عند الإمام ابن تيمية (من خلال مجموع الفتاوى الكبرى)

عادل حسن العقاب[١] خطاب يعقوب السعدي[٢]

المستخلص:

تناقش هذه الدراسة موضوعاً بعنوان الأساليب التربوية التي تعنى بالجوانب العقلية عند شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال كتابه (مجموع الفتاوى) وتهدف الدراسة إلى التعرف على هذا العالم الذي استطاع استنباط الأساليب التربوية من مشكاة النبوة والتعرف أيضاً على مفهوم التربية عنده وأراءه حول مفهوم العقل، والتعرف على الأساليب التربوية التى تعنى بالجوانب العقلية. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لكي تجيب عن التساؤل الرئيس للدراسة وهو، ما الأساليب التربوية التي تعنى بالجوانب العقلية عند شيخ الإسلام ابن تيمية. بالرغم أن تعريف التربية عند ابن تيمية لايختلف كثيراًعن تعريف التربية عند كثير من العلماء ولكن يعتبر المربي هو العالم العامل الخبير بمن يربيه الذي يقوم بتأديبه وإصلاحه وتزكيتة. لقد تبين أنه استخدم أساليب تربوية كثيرة في مجموع الفتاوى، فيما يتعلق بالجوانب العقلية التي كان يوليها عناية فائقة من تنمية العقل وتزكيته والحفاظ عليه من كل مايؤثر على فطرته وسلامته في أداء وظيفته. ثم ختمت الدراسة بتوصيات منها إجراء دراسات حول ضوابط الأساليب التربوية وأسسها ومدى تطبيقها.

Abstract

This study discusses the educational methods which concern the mental aspects according to shikh Alislam Ibn Taymia in his book Magmou' Alfataawa. The study aimed at introducing this great Muslim scientist who manged to extract educational styles from the prophecy school as well as to display the concept of education according to Ibn Taymia and to know his opinions about the concept of mind.

The study used the descriptive analytical method in order to answer the question of what is the educational method that which concern with mental aspect according to Ibn Tayimya.

In conclusion, Ibn Taymiyya's concept of education didn't differ from most of other scientist, however he considered the educator is the scientist, professional and expert in the field of education and reform.

Furthermore, Ibn Taymiyya used various educational methods in his book Magmou' Alfataawa especially those related to the mental aspect. He gave these aspects aspecial consideration and he urged to take care of mind and avoid it from all factors that may affect its instinct. Finally, the study suggested some recommendations such as conducting some more studies on controlling the fundamentals of educational methods and their applications.

الكلمات المفتاحية: مناهج - مهارات- شريعة

١. استاذ مساعد- رئيس قسم التدريب والتربية العملية- كلية التربية- جامعة السودان للعلم والتكنولوجيا.
البريد الإلكتروني : adilagab77@yahoo.com الهاتف:٠٩١٢٣٨٥٣٥٦
٢. ادارة المرحلة الثانوية- جدة- المملكة العربية السعودية.

المقدمة :

لقد مَنّ الله على البشرية جميعاً ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، مربياً ومعلماً للناس بشريعة سهلة وميسورة شاملة لكل جوانب الحياة ، إجمالاً أو تفصيلاً، صالحة لكل زمن ومكان، تحقق لمن اتبعها السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

ولقد تلقى الصحابة الكرام هذه التربية بقبول حسن ورعوها حق رعايتها علماً وعملاً ، ونقلوها إلى من بعدهم كما تركهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا هو حال المسلمين حتى دب الجهل بينهم، فتلقفت علوم مختلفة، مازالت آثارها السلبية قائمة بين المسلمين في الجانبين العلمي والعملي من حياتهم.

ولقد رحم الله الأمة أن قيض لها من العلماء الربانيين الذين وقفوا حياتهم وأموالهم وجهودهم المختلفة لنصح الأمة وإستعادة مكانتها اللائقة بها، من بينهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي اخترناه لدراسة أساليبه التربويه التي تُعنى بالجوانب العقلية وتزكيتها لما له من إسهامات علمية وعملية في المجال التربوي وغيره، بغية دراسة آثارها الإصلاحية إلى اليوم، ليستفيد منها المربون والمصلحون كلما طرق الأمة الجمود.

مشكلة الدراسة :إن الأساليب التربوية عنصر أساس من عناصر العملية التربوية التي لاغنى لأحد من الناس عنها، والعالم الإسلامي بعامة والمجال التربوي فيه بخاصته لم يسلم من الغزو الفكري الذي طال مؤسساته المختلفة فأدخلت ضمن قائمة الأساليب التربوية أساليب غير تربوية أو أنها تخالف تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تحت مزاعم التجديد والانفتاح.

ومن منطلق القاعدة الشرعية القائلة الضرر يزال، كان لابد على المؤهلين من أبناء الأمة القيام بهذا الواجب الكفائي كل في مجال اختصاصه، ولما كانت إزالته تحتاج إلى بديل يشغل مكانه، وقع اختيار الباحث على الأساليب التربوية عند شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ملأت شهرته الآفاق فكانت مشكلة البحث تنطلق من السؤال الآتي: ماالأساليب التربوية التي تعنى بالجوانب العقلية عند الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال كتابه (مجموع الفتاوى).

أهمية الدراسة: هذه الدراسة تستمد أهميتها من أهمية الأساليب التربوية في العملية التعليمية، فإنها وسيلة لتحقيق الأهداف التربوية، إذ إن نجاح أي عملية تربوية منوط بنوع الأسلوب التربوي المستخدم فيها.

كما تكمن أهمية الدراسة أيضاً في إبراز أثر هذا العالم ابن تيمية ومعرفة قدره وبيان جهوده، وكيف استطاع بحسن أساليبه التربوية من إصلاح حالة التخلف والفساد السائدة في عصره ومجتمعه، والتي مازال أثرها الإصلاحي باقياً إلى اليوم.

أهداف الدراسة :

١/ التعرف على العالم الرباني الذي استطاع استنباط الأساليب التربوية من مشكاة النبوة وطبقها عملياً مع نفسه ومع الآخرين، فأتت ثمارها المباركة في حياته وبعد موته.

٢/ التعرف على مفهوم التربية عند الإمام ابن تيمية.

٣/ التعرف على آراء ابن تيمية حول العقل.

٤/ التعرف على الأساليب التربوية التي تعنى بالجوانب العقلية عند ابن تيمية.

أسئلة الدراسة: إن حاجة المربين على مختلف مستوياتهم واختصاصاتهم إلى أساليب تربوية مقتبسة من نور النبوة الصافي، ومن تراث علمائهم وبناءاً على ذلك حرر الباحث السؤال الرئيس التالي :-

ما الأساليب التربوية التي تُعنى بالجوانب العقلية عند الإمام ابن تيمية من خلال كتابة (مجموع الفتاوي)؟

من خلال الإجابة عن هذا السؤال أجاب الباحث عن الأسئلة الفرعية الآتية:-

١/ من هذا العالم الرباني الذي استطاع استنباط أساليب تعني بتربية العقل من مشكاة النبوة؟

٢/ ما مفهوم التربية عند الإمام ابن تيمية؟

٣/ ما الأساليب التربوية التي تُعنى بالجوانب العقلية عند الإمام ابن تيمية؟

نشأة ابن تيمية:

لقد كتب جمع من العلماء ، قديماً وحديثاً، عن حياة هذا العالم الجليل وسيرته وآثاره العلمية والفكرية والإصلاحية في الشرق والغرب ، بدءاً بطلابه ومعاصريه ، ثم من أتي بعدهم وإلى يومنا هذا من موافقين ومخالفين ، منهم من كتب عنه ضمن تراجم العلماء ومنهم من خصه بترجمة خاصة.

وفي الزمن الحاضر عقدت ندوات ومؤتمرات وأمسيات وفعاليات بشأنه مابين مختصر ومطول. بل أقيم في المملكة العربية السعودية مشروع علمي كبير عرف باسم (آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال)، وصدر عنه عدة مؤلفات من أعماله وما اتصل بها، منها كتاب(الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون) وقد حوى خمساً وسبعين ترجمة من كتب التراجم العامة ، مخطوطها ومطبوعها[١].

فهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي[٢].

كنيته أبو العباس ، ولقب بألقاب متعددة تظهر فضله وشرفه ، ومن ذلك ما قاله السيوطي: الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس.

وقال عبد الهادي هو الإمام الرباني ، إمام الأئمة، ومفتي الأمة وبحر العلوم، وسيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ[٣].

اشتهر شيخ الإسلام ابن تيمية، كما اشتهر بأحد الوصفيين: شيخ الإسلام وابن تيمية ، وهو الأشهر[٤]

كان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة إحدى وستين وستمائة ، وسافر والده به وبأخوته إلى الشام ... .[٥].

حدثت في عصره خلافات سياسية وأطماع دولية، لما كانت عليه الدولة الإسلامية في الخلافة العباسية من الضعف.

ولقد كان اتجاه الإمام نحو العلوم مبكراً منذ نعومة أظافره فقد نشأ في بيت علم وفضل، فلم يكن مثل غيره من الأطفال يسرف في اللعب واللهو، بل كان مثابراً على تحصيل العلوم ليلاً ونهاراً[٦].

تعلم على يد كثير من الشيوخ وسمع منهم وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ[٧].

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فقد بلغ ما قمنا بحصره من أعمال ابن تيمية، في مختلف البحوث و مختلف الفنون، ثلاثمائة وأربعة عشرمخطوطاً في اثنين وخمسين موضعاً ... . ولا ندعي إن هذا كل ما للإمام من أعمال، و فيما يأتي نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) أبو زيد ، بكر بن عبد الله (١٤٢٢ هـ) المدخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من إعمال ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة، ص ٩.

(٢) ابن فصيح ،إبراهيم بن محمد (١٩٩٠م) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ص٨٩.

(٣) المقدس ،محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١٨.

(٤) المرجع السابق، ص١٩.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٩٩٢م) البداية والنهاية (ج١٤)، دار ابن حيان، القاهرة،ص١٧٢.

(٦) ابن عبد الهادي، العقود العربية، مرجع سابق،ص١٩.

(٧) نفس المرجع السابق، ص٢٠.

القرآن وعلومه: مقدمة في أصول التفسير، التبيان في نزول القرآن، قاعدة في تحزيب القرآن، جواب أهل العلم في تفضيل آيــات ، تفسير سورة النور، تفسير المعوذتين، تفسير سورة الإخلاص، تفسير آيات أشكلت، قاعدة في البسملة ...، وغير ذلك.

الحـديث وعلومـه :أسئلة في مصطلح الحديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، شرح حديث النزول، شرح حديث: نزل القرآن على سبعة أحرف، شرح حديث: كان الله ولا شيء قبله، شرح حديث: إني حرمت الظلم على نفسي، مجموع أحاديث والكلام عليها ...... وغير ذلك.

العقيدة والرد على المتكلمين وغيرهم:

الإيمان الكبير، معجزات الأشياء، آيات الصافات والأحاديث حولها، الرد على الفلاسفة .... وغير ذلك، رســالة فــي كــلام الله، الجواب الباهر في زوار المقابر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مسألة العلو، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، منهاج السنة النبوية، الواسطية في العقيدة....، وغير ذلك.

اللغة وأصولها:

أصول الفقه، رسالة في الاجتهاد، رسالة في أقوال الصحابة وحجيتها، رسالة في الصوم، رسالة في قنوت النساء، تحقيق الفرقــان بين التطبيق والإيمان، رسائل في الغصب واللقطة والمزارعة والوقف وغيرها، شرح العمدة في الفقه....، وغير ذلك.

التصوف والسلوك والاجتماع:

الصوفية والفقراء ،الحسنة والسيئة، مسألة في بعض الأعمال الصوفية، قاعدة أمراض القلوب، رسالة في تحقيق التوكل، السياسة الشرعية، الرسالة التدمرية، رسالة في السماع والرفص والغناء.....، وغير ذلك.

المنطق والفلسفة:

نقض المنطق، الرد على المنطقيين، الصفدية، الرسالة العرشية.

مفهوم التربية عند الإمام ابن تيمية :

يظهر رأي ابن تيمية في مفهوم التربية من خلال مناقشته لمعنى قوله تعالى: Mوَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ µ L [٨]، فقد بين ما له علاقة بمفهوم التربية وما ليس له علاقة بها . مما يظن إن له علاقة بها: فقال رحمه الله: قد قيل في (ربيون) هنا أنهم علماء، فلما جعل هؤلاء كلفظ الرباني، وعن ابن زيد هم الإتباع، كأنه جعلهم المربوبين والأول أصح من وجوه[٩]

أحدها : إن الربانيين عين الأحبار: وهم الذين يربون الناس، وهم أئمتهم في دينهم ولا يكون هؤلاء إلا قليلاً.

الثاني: إن الأمر بالجهاد والصبر لا يختص بهم، وأصحاب الأنبياء لم يكونوا كلهم ربانيين، وان كانوا قد أعطــوا علمــاً ومعهــم الخوف من الله عز وجل.

الثالث: إن استعمال لفظ الرباني في هذا ليس معروفاً في اللغة.

الرابع: إن استعمال لفظ الربي في هذا ليس معروفاً في اللغة بل المعروف فيها هو الأول، والذين قالوه، قالوا: هو نسبة للرب بــلا نون، والقراءة المشهورة ربي بالكسر، وما قالوه إنما يتوجه على من قرأه بنصب الراء، وقد قرئ بالضم، فعلم أنها لغات.

الخامس: إن الله تعالى يأمر بالصبر والثبات كل من يأمره بالجهاد ، سواء كان من الربانيين أو لم يكن.

(٨) سورة آل عمران الآية (١٤٦).

(٩) ابن تيمية (١٩٩٨م) مجموع الفتاوي، مكتبة الصبيان، الرياض،ص٦٢.

السادس: إنه لا مناسبة في تخصيص هؤلاء بالذكر، وإنما المناسب ذكرهم في مثل قولــه:Mلَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَــارُL [١٠] الآية، وفي قوله : (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)[١١] فهناك ذكرهم به مناسباً.

السابع : قيل إن الرباني منسوب إلى الرب، فزيادة الإلف والنون كاللحياني ، وقيل إلى تربيته الناس.

وهذا هو الوجه **الثامن**: أنها إن جعلت مدحاً، فقد ذموا في مواضع وان لم تكن مدحاً لم يكن لهم خاصة يمتازون بهــا مــن جهــة المدح، وإذا كان منسوباً إلى الرب، فنسبة الربيون إلى الرب أولى بالبطلان.

التاسع: إنه إذا قدر أنهم منسبون إلى الرب، فلا تدل النسبة على أنهم علماء ، نعم تدل على إيمان وعبادة وتأله، و وهذا يعم جميع المؤمنين، فكل من عبد الله وحده لا يشرك به شيئاً فهو متأله عارف بالله، والصحابة كلهم كذلك ، ولم يسموا ربانيين ولا ربيــون، وإنما جاء ابن الحنفية قال لما مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة، وذلك لكونه يؤدبهم بما آتاه الله من علم.

يظهر مما سبق إن المعاني التي يدور عليها مفهوم التربية عند الإمام هي[١٢]:

١/ لابد في التربية من العلم، فالمربي يجب أن يكون عالماً بما يربي به.

٢/ عاملاً بما يربي الناس عليه.

٣/ مختاراً الأسلوب الأمثل في تربيته.

٤/ عارفاً بأحوال من يربيه.

وهذا مستفاد من قوله: " هم الذين يربون الناس" وهم أئمتهم في دينهم ولا يكون هؤلاء إلا قليلاً.

ويؤكد نحو المعنى الإمام القرطبي فيقول: فمعنى الرباني: العالم بدين الرب، الذي يعمل بعلمه، لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس عالم.

٥/ تدبير أمور الناس وإصلاحهم وتزكيتهم.

وهذا مستفاد من قوله " فإن الرباني من يرب الناس كما يرب الرباني السفينة، ولهذا كان الربــانيون يــذمون تــارة، ويمــدحون أخرى...". واللفظة عربية منسوبة إلى ربان السفينة الذي ينزلها ويقوم لمصلحتها، ولكن العرب في جاهليتهم لم يكن لهم ربانيون، لأنهم لم يكونوا على شريعة منزلة من الله عز وجل.

ويؤكد المعنى الإمام القرطبي – أيضا – فيقول: الرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من قول العرب: رب أمــر الناس بربه، إذا أصلحه وقام به، فهو راب ورباني، على التكثير.

٦/ تأديب الناس وتنمية قدراتهم في مختلف الجوانب شيئاً فشيئاً.

وهذا مستفاد من قوله : إن ابن الحنفية قال لما مات ابن عباس : اليوم مات رباني هذه الأمة، وذلك لكونه يؤدبهم بما آتاه الله مــن العلم ...، ولهذا قال مجاهد :" هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، فهم أهل الأمر والنهي..."، نقل عن علي قال:" هــم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها."

أساليبه التربوية التي تعني بالجوانب العقلية :

لقد كان للإمام ابن تيمية أساليب تربوية كثيرة تعني بالعقل وتزكيته وتنميته، إلا انه مراعاة لظروف الدراسة والوقت المتــاح لهــا اكتفى الباحث بالأساليب الآتية:

---

(١٠) سورة المائدة الآية (٦٣).

(١١) ابن تيمية، مجمع الفتاوي، مرجع سابق، ص٦٤.

(١٢) ابن تيمية، مجمع الفتاوي، مرجع سابق، ص٦٤.

أ/ تنمية العقل وتزكيته بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل به :

١. إن مما يزيد في العقل تعلم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل به، كما يعلق الله في آيات كثيرة حصول العقل على تدبر آياته والامتثال لأوامره قال تعالى:Mكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) h L [١٣]فيجب عدم الاعتماد في إدراك جميع الحقائق أو طلب السعادة على العقل، بل لابد من استضاءته بنور الوحي وقد قيل:عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه ومن لا يفرق بين الحلال والحرام هو كمن لا يفرق بين النافع والضار، وعدم التفريق والتمييز ضعف في العقل، كما إن الطفل الصغير لا يميز – مثلاً – بين مائة درهم وبين خمسة دراهم فيحسبها الشيء نفسه لقصور تمييزه، وفي ذلك من الضرر ما فيه،وهكذا الجاهل ، وفي هذا المعنى يقول رحمه الله: قال تعالىMقَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ L [١٤]فمحمد صلى الله عليه وسلم تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغي من الرشاد، والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، المتقون من الفجار، وإيثار سبيل من انعم الله عليهم ومن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين[١٥].

فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منه إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا، وذلك إذا فات حصل العذاب.

ب/ التفريق بين هداية الرحمن وبين ضلالات الشيطان :

إن أسلوب التفريق بين الأشياء المتشابهة والتمييز بينها، من أخص وظائف العقل والعقلاء، وإلا وقع الناس في فساد لا يعلمه إلا الله، قال ابن القيم رحمه الله:

فعليك بالتفصيل والتمييز فالإطلاق والأجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الأذهان والآراء كل زمان[١٦]

ومن أكبر ما وقع فيه كثير من الناس، عدم التفريق بين ما هو قربة للرحمن وبين ما هو قربة للشيطان الذي حذر الله منه، وأبدى فيه وأعاد، وكرر قصته مع أبينا آدم في سور مختلفة، وبأساليب متنوعة، وذلك لعظيم خطره، فبين عداوته وكشف حيله وتلبيساته وذكر لنا أن مهمته في الأرض إغواء بني آدم من طريقين:

الأول – طريق الشبهة : وذلك بان يجعل الأمر مشتبهاً ملتبساً ، يخلط فيه الحق بالباطل، فلا يدري العبد حلاله من حرامه، وفي نحو ذلك قال ابن تيمية:" لهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه"، وله في ذلك أساليب كثيرة متنوعة يصطاد الناس بها، كتزيين المحرمات ، والتذكير بمحاسنها وفوائدها العاجلة، حتى ينصرف الإنسان إليها غافلاً عن مضارها العاجلة أو الآجلة، كما قال تعالى: Mإِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ F L [١٧] ، وهكذا تغيير الأسماء المحرمات من أسماء معلومة الحرمة إلى أسماء جميلة شيقة محبوبة طبعا لينسيهم بذلك حرمتها فيقعوا فيها، كما فعل مع أبينا آدم تماماً ، فبدلاً من إن يصدقه القول بان هذه هي الشجرة التي نهاك الله عنها، قال له: أنها شجرة الخلد! مع انه هو لما أراد الخلود لم يأكل منها وإنما سأل واهب الحياة سبحانه!

---

(١٣) سورة البقرة الآية (٢٤٢)
(١٤) سورة المائدة (الآية ١٥ – ١٦)
(١٥) ابن تيمية، مجمع الفتاوي،ص٨.
(١٦) ابن القيم، الكافية الشافية في الانتصار والفرقة الناجية، دار بن خزيمة، الرياض، ص١٨٠
(١٧) سورة المائدة الآية (٩١).

الثاني – طريق الشهوة : إذ إنه علم ما جبل عليه الإنسان من حبها وطلبها، فلما ابتلى الله الإنسان بحل بعض تلك الشهوات وتحريم بعضها لينظر مدى استجابته لخالقه – علماً بان ما أحله أكثر مما حرمه بكثير – أبى الشيطان إلا أن يوسوس للإنسان، ليقع في تلك المحرمات على اختلافها وشدة ضررها ، ويستخدم لذلك أساليب متنوعة يصطاده بها، كما ضحك على آدم صلى الله عليه وسلم بأنه يخلد إن هو أكل من الشجرة! وحب الخلود وكراهية الموت محبوب للإنسان بطبعه – خصوصاً المنّعم في هذه الحياة – ولهذا لا يزال يجند للمساعدة قي مهمته اللعينة أعوانا من بني آدم علاوة على من معه من شياطين ذريته، إذ إنه قد فطن أن أفضل أسلوب لمهاجمة خصمه، تفريق كلمته، وتجنيد ابنائه للهجوم عليه، وقد استجاب له أكثرهم فنجح فيما خطط له، قال تعالى:M وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ § L[١٨]، وأخطر ما أوقعهم فيه هو الكفر والإشراك بالله بكل أنواعه وصوره ، واستغل لذلك جهل الناس بدينهم، وانغماسهم في طلب الدنيا ليل نهار[١٩]

ج/ ترويض العقل وإثارته بما يناسبه من المهارات العقلية والعلمية النافعة :

قد تقدم إن العقل يزيد وينقص ، فينبغي للإنسان أن يشغل عقله بما ينفعه ويزيده خصوصاً ما يجمع بين المتعة والفائدة ولهذا يقول: إن الإنسان يلتذ بعلم ما لم يكن علمه، وسماع ما لم يكن سمعه، إذا لم يكن مشغولاً عن ذلك بما هو أهم عنده منه، كما قد يلتذ بأنواع من الأفعال التي هي من جنس اللهو واللعب، ففي الإيمان على معرفة ذلك، تعتاد النفس العلم الصحيح والقضايا الصحيحة الصادقة، والقياس المستقيم، فيكون في ذلك تصحيح الذهن والإدراك، وتعود النفس على تعلم الحق وتقوله ، لتستعين بذلك على المعرفة التي هي فوق ذلك، ولهذا يقال: انه كان أوائل الفلاسفة أول ما يعلمون أولادهم العلم الرياضي، وكثير من شيوخهم في آخر أمره إنما يشتغل بذلك، لأنه لما نظر في طرقهم وطرق من عارضهم من أهل الكلام الباطل، ولم يجد في ذلك ما هو حق، أخذ يشغل نفسه بالعلم الرياضي، كما كان يتحرى مثل ذلك من هو من أئمة الفلاسفة، كابن واصل وغيره، وكذلك كثير من متأخري أصحابنا يشتغلون وقت بطالتهم بعلم الفرائض، والحساب والجبر والمقابلة والهندسة ونحو ذلك، لأنه فيه تفريجاً للنفس، وهو علم صحيح لا يدخل فيه غلط، وقد جاء عن عمر بن الخطاب انه قال:" إذا لهوتم فالهوا بالرمي، وإذا تحدثتم فتحدثوا بالفرائض" فإن حساب الفرائض علم معقول مبني على أصل مشروع، فتبقى فيه رياضة العقل وحفظ الشرع، لكن ليس هو علماً يطلب لذاته، ولا تكمل به النفس[٢٠].

د/ توفير بيئة سليمة فكرياً تحفظ العقل من الانحراف :

لابد من توفير بيئة سليمة للناشي سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع الذي يعيش ويترعرع فيه، لأن من معاني التربية الرعاية والمحافظة، فدورها في ذلك انتقائي ودفاعي، فهي تنتقي الجو الصالح للمتعلم، وتدافع عن الفضائل التي فطر عليها، وتبعد الرذائل عن الجو الذي يعيش فيه، لأن العقل مبني على سلامة الفطرة، وفي هذا الصدد يقول رحمه الله : إن مبنى العقل على صحة الفطرة وسلامتها، ومبنى السمع على تصديق الأنبياء وصلوات الله عليهم، ثم أنبياء ، كملوا للناس الأمرين، فدلوهم على الأدلة العقلية التي بها تعلم المطالب التي يمكنهم علمهم بها بالنظر والاستدلال، وأخبروهم مع ذلك من تفاصيل الغيب بما يعجزون عن معرفته بمجرد نظرهم واستدلالهم[٢١] .

وقال أيضاً : ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأي الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة، من تهود وتنصر وتمجس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضاً كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مراً، ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي

(١٨) سورة سبأ الآية (٢٠)
(١٩) ابن تيمية ، مجموع الفتاوي(ج٣)،ص٦٣.
(٢٠) ابن تيمية، المرجع السابق، ص ٢٢٥
(٢١) المرجع السابق، ص٢٢٦.

هو الإسلام، بحيث لو ترك من غير مغيّر لما كان إلا مسلماً، وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لـم يمنعهـا مانع، هي فطرة الله التي فطر الناس عليها[٢٢]

هـ/ التمثيل والتصوير الذهني، والاعتبار بالمعلوم لتصور المذكور الغيبي :

يؤكد ابن تيمية على استعمال أسلوب المقايسة والتمثيل والتصوير الذهني العقلي للتمكن من إدراك حقائق الأشياء الغائبـة التـي لا يعلمها المخاطب إلا بالخبر الصادق، لكنه لا يتمكن من تمييزها ذهنياً إلا إذا مثلت بغيرها مما هو معلوم عنده مسبقاً، والحكم علـى الشيء فرع عن تصوره، فيقول: إن اليقين لا يحصل في هذه الأمور إلا أن يحصل بالتمثيل، فيكون العلم بما لم يعلم من المفردات الموجودة في الخارج قياساً على ما عُلم منها، وهذا حق لا ينازع فيه عاقل، بل هذا من أخص صفات العقل التي فارق بها الحس، إذ الحس لا يعلم إلا معيّنا، والعقل يدركه كلياً مطلقاً، لكن بواسطة التمثيل، ثم العقل يدركها كلها مع عزوب الأمثلة المعنيـة عنـه، لكن هي في الأصل إنما صارت في ذهنه كلية عامة، بعد تصوره لأمثال معينة من أفرادها، وإذا بعد عهد الذهن بالمفردات المعنية فقد يغلط كثيراً، بأن يجعل الحكم إما أعم، وإما أخص، وهذا يعرض للناس حيث يظن أن ماعندهم من القضـايا الكليـة صـحيح، ويكون عند التحقيق ليس كذلك[٢٣].

ويقول: إنا لا نعلم ما غاب عنا إلا بمعرفة ما شهدناه، فنحن نعرف أشياء بحسنا الظاهر أو الباطن، وتلك معرفة معينة مخصوصة، ثم إنا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد، فيبقى في أذهاننا قضايا عامة كلية، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا لم نفهم ما قيل لنـا إلا بمعرفة المشهود لنا، فلولا أنا نشهد من أنفسنا جوعاً وعطشاً وشبعاً ورياً وحباً وبغضاً ولذة وألماً ورضى وسخطاً، لم نعرف حقيقة ما نخاطب به إذا وصف لنا ذلك وأخبرنا به عن غيرنا، وكذلك لو لم نعلم ما في الشاهد حياة وقدرة وعلما وكلاماً لـم نفهـم مـا نخاطب به إذا وصف الغائب عنا بذلك، وكذلك لو لم نشهد موجوداً لم نعرف وجود الغائب عنا، فلابد فيما شهدناه وما غاب عنا من قدر مشترك، هو مسمى اللفظ المتواطئ، فبهذه الموافقة والمشاركة والمشتبهة والمواطأة نفهم الغائب ونثبته، وهذا خاصـة العقـل ولولا ذلك لم نعلم إلا ما نحسه، ولم نعلم أموراً عامة ولا أموراً غائبة عن أحاسيسنا الظاهرة والباطنة، ولهذا من لم يحس الشـيء ولا نظيره لم يعرف حقيقته[٢٤].

ثم إن الله تعالى أخبرنا بما وعدنا به في الدار الآخرة من النعيم والعذاب، وأخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغيـر ذلـك، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا به، ونحن نعلم مع ذلك أن تلك الحقائق ليست مثل هذه، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. وهذا تفسير قوله:Mبِهِ مُتَشَابِهًاL [٢٥]، على أحد الأقوال، ولهذا كان قول من قال: إن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله حقاً، وقول من قال: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويله حقا – وكلا القولين مأثور عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان – فالذين قالوا: إنهم يعلمون تأويله مرادهم بذلك أنهم يعلمون تفسيره ومعناه، وإلا فهـل يحل لمسلم أن يقول أن النبي (صلي الله عليه وسلم) ما كان يعرف معنى ما يقوله ويبلغه من الآيات والأحاديث؟! بل كان يـتكلم بألفاظ لها معان لا يعرف معانيها! ومن قال: "إنهم لا يعرفون تأويله، أرادوا به الكيفية الثابتة التي اختص الله بعلمها" [٢٦].

و/ إبعاد العقل عما لا دخل له فيه :

إن العقل إن لم يتقيد بالشرع في الغيبيات أو ما يسميه الفلاسفة ونحوهم: ما وراء الطبيعة، أو ما وراء الحس، وقع في الوهم، وهو تصور الشيء على خلاف ما هو عليه، فإن للعقل مجالاً يعمل فيه، وهو الحسيات والمشاهدات والمعقولات، فلا يجوز إعماله فـي

---

(٢٢) المرجع السابق (ج ٤)،ص ٢٤٦.

(٢٣) المرجع السابق، ابن تيميه مرجع سابق (ج ٥) ، ص ٣٤٦.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٣٤٧.

(٢٥) سورة البقرة الآية (٢٥)

(٢٦) المرجع السابق، ص ٣٤٨.

الغيبيات، إذ أنها من اختصاص عالم الغيب والشهادة سبحانه، كمثل ميزان الذهب الذي يعطي أحكاماً دقيقة لما يوضع فيه من الذهب والمجوهرات ونحوها، فإذا وضع فيه ما يفوق تحمله – كحجر مثلاً – أخطأت أحكامه ولابد، ولهذا وصف ابن تيمية صاحب الخلوة المعتمد على عقله بأنه أصيب بثلاث توهمات[٢٧]:

- **أحدهما**: أن يعتقد في نفسه أنه أكمل الناس استعداداً.
- **والثاني**: أن يتوهم في شيخه أن أكمل من على وجه الأرض.
- **والثالث**: أنه يتوهم أنه يصل إلى مطلوبه بدون سبب، وأكثر اعتماده على القوة الوهمية، فقد تعمل الأوهام أعمالاً لكنها باطلة، كالمشيخة الذين لم يسلكوا الطرق الشرعية النبوية نظراً أو عملاً بل سلكوا الصابئية .

وهو يقرر أن العقل قد يتصور أشياء لا وجود لها البتة في الواقع، وإنما يكون وجودها ذهنياً، أي في ذهن وعقل متصورها، كما يرد على الاتحادية اعتقادهم اتحاد الخالق مع المخلوق، وهو مبني على تصور إمكانية اجتماع ذاتين في ذات واحدة، ومعلوم أن الذات الواحدة منفصلة متميزة عن غيرها، قال رحمه الله: إن متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشروطات، ويقدر ما لا وجود له البتة مما يمكن أو لا يمكن، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه، ومن الموجودات ذوات متصورة فيه[٢٨].

ز/ عدم إعمال العقل في الضروريات والبديهيات :

هناك أمور عقلية لا يحتاج الإنسان فيها إلى نظر واستدلال لأنها معلومة ببداهة العقل، وهي مما يشترك فيه كل العقلاء، فلا داعي إلى تضييع الوقت والجهد في تعليمها، فإن ذلك من تحصيل الحاصل، فمن طلب تعلم مثل تلك العلوم لينمي أو يزكي عقله بها، فإنما هو يفسده من حيث يظن أنه يصلحه، فقال رحمه الله: "والتحقيق أن العلم بأن المحدث لابد من محدِث هو علم فطري ضروري في المعينات الجزئية، وأبلغ مما هو في القضية الكلية، فإن الكليات إنما تصير كليات في العقل بعد استقرار جزئياتها في الوجود" [٢٩].

ح/ إبعاد العقل عما يزيله أو يؤثر على عمله أو فطرته :

إن من معاني التربية المحافظة على الإنسان من كل ما من شأنه التأثيرعلى فهمه وتفكيره، وهذا هو دورها الوقائي، ولهذا نجد ابن تيمية لا يقصر سكر العقل بالخمر ونحوها مما يخامر العقل ويستره، بل يتعداه إلى كل ما من شأنه مخامرة العقل، فإن النبي (صلي الله عليه وسلم) قد أرسل بجوامع الكلم، ومن هنا قال: (كل مسكر حرام)، فقال – رحمه الله – وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وأن لم تحصل به نشوة ولا طرب، فإن تغييب العقل حرام بإجماع المسلمين، وكل ما يزيل العقل فإنه يحرم أكله ولو لم يكن مسكراً، كالبنج، فإن السكر يجب فيه الحد، وغير المسكر يجب فيه التعزير[٣٠].

وقال: والله تعالى بعث الرسل بتكميل الفطرة، فدلوهم على ما ينالون به النعيم في الآخرة، وينجون من عذاب الآخرة، فالفرق بين المأمور والمحظور هو كالفرق بين الجنة والنار، واللذة والألم، والنعيم والعذاب، ومن لم يدرك هذا الفرق فإن كان لسبب أزال عقله هو به معذور، وإلا كان مطالباً بما فعله من الشر وتركه من الخير[٣١].

ولا ريب أن في الناس من قد يزول عقله في بعض الأحوال، ومن الناس من يتعاطى ما يزيل العقل، كالخمر وكسماع الأصوات المطربة، فإن ذلك قد يقوى حتى يسكر أصحابها، ويقترن بهم الشياطين، فيقتل بعضهم بعضا في السماع المسكر، كما يقتل شراب الخمر بعضهم بعضا إذا سكروا، وهذا مما يعرفه كثير من أهل الأحوال، لكن منهم من يقول: المقتول شهيد! والتحقيق: أن المقتول

(٢٧) المرجع السابق(ج ٩)، ص ١٢٩.
(٢٨) ابن تيمية، مرجع سابق، ص ٥٨
(٢٩) المرجع السابق (ج ١)،ص٤٧.
(٣٠) المرجع السابق(ج ٣٤)،ص٢١١.
(٣١) المرجع السابق،ص٣٠٥.

يشبه المقتول في شرب الخمر، فإنهم سكروا سكراً غير مشروع، لكن غالبهم يظن أن هذا من أحوال أولياء الله المتقين، فيبقى القتيل فيهما، كالقتيل في الفتنة، وليس هو الذي تعمد قتله، ولا هو كالمقتول ظلماً من كل وجه[٣٢].

فإن قيل: فهل هذا الفناء يزول به التكليف؟ قيل: إن حصل للإنسان سبب يعذر فيه، زال به عقله الذي يميز به، فكان منزلة النائم والمغمى عليه، والسكران سكراً لا يأثم به، كمن سكر قبل التحريم، أو أوجر الخمر، أو إكراه على شربها – عند الجمهوروأما إن كان السكر لسبب محرم، فهذا فيه نزاع معروف بين العلماء.

ط/ غض البصر عن الحرام وفضول النظر وما لا يحتاج إليه:

لقد أمر الله بغض البصر مطلقاً في بعض الآيات، كقوله تعالى: M قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ L [٣٣]، لأن إطلاق البصر فيما لا يحل يورث ضعف البصيرة وكثرة النسيان والغفلة، وربما عوقب بانصراف قلبه إلى المحرمات، والعاقل ينأى بنفسه عن كل ما لا مصلحة له فيه، وقد جعل ذلك صلي الله عليه وسلم من حسن الإسلام، فقال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

فقال رحمه الله: الفائدة الثانية في غض البصر: فهو نور القلب والفراسة، قال تعالى عن قوم لوط: M لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ - L [٣٤]، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، وسكر القلب – بل جنونه – كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق من به سكران وذكر الله سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال: Mاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ L [٣٥]

ي/ حراسة الخواطر، وإشغال البال بما ينفع، والبعد عن مواضع الشرور :

لابد للعبد أن يراقب ما يخطر على باله من الأفكار والوساوس أولاً بأول، فما كان من ذلك إلى الخير فليقدم عليه، وما كان إلى الشر فليحجم عنه وليبتعد عنه وعن أسبابه، فإن الوقاية خير من العلاج، فإن لم يفعل هذا الأمر الهين الذي بمقدوره، فإنه يصاب باستحكام المرض والشهوة، فلربما لم يمكنه بعد ذلك اجتثاثها من نفسه والتخلص منها، فيبتلى بها، وقد سئل ابن تيمية عمن أصابه سهم من سهام إبليس المسومة، وهي النظر إلى النساء والمردان؟ فقال: من أصابه جرح مسموم فعليه بما يخرج السم ويبرئ الجرح، بالترياق والمرهم، وذلك بأمور، منها[٣٦]:

- **الاول**: أن يتزوج أو يتسرى، فإن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (إذا نظر أحدكم إلى محاسن امرأة، فليأت أهله، فإنما معها مثل ما معها) ، وهذا مما ينقص الشهوة ويضعف العشق.

- **الثاني**: أن يداوم على الصلوات الخمس، وليكثر من الدعاء، والتضرع وقت السحر، وتكون صلاته بحضور قلب وخشوع، وليكثر من الدعاء بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك وطاعة رسولك، فإنه متى أدمن الدعاء والتضرع لله صرف قلبه عن ذلك، كما قال تعالى: Mوَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ R L [٣٧]

(٣٢) المرجع السابق،ص٣٠٦.
(٣٣) سورة النور الآية (٣٠).
(٣٤) سورة الحجر الآية (٧٢)
(٣٥) سورة النور الآية (٣٥)
(٣٦) المرجع السابق، ص٣٠٨.
(٣٧) سورة يوسف الآية (٢٤)

- **الثالث**: أن يبعد عن مسكن هذا الشخص، والاجتماع بمن يجتمع به، بحيث لا يسمع له خبر، ولا يقع له على عين ولا أثر، فإن البعد جفا، ومتى قل الذكر ضعف الأثر في القلب، فليفعل هذه الأمور، وليطالع بما تجدد له من الأحوال(٣٨).

ك/ ترك بعض المصالح لتحصيل مصالح أكبر أو دفعاً لمفسدة أو مفاسد :

وهذا أسلوب تربوي عقلي لا غني لعاقل عنه، بل هو قاعدة أصولية شرعية متينة، وقد كان شيخ الإسلام كثيراً ما يطبقها ويلحظها في تصرفاته وتعاملاته مع المواقف والمخالف، فمن ذلك قوله: إن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان، فلا يحل له ذلك إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول صلي الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصلحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة(٣٩).

وقال في صلاة ركعتين قبل الجمعة: قد يكون تركها أفضل إذا كان الجهال يظنون أن هذه سنة راتبة، أو أنها واجبة، فتترك حتى يعرف الناس أنها ليست سنة راتبة ولا واجبة، لا سيما إذا داوم الناس عليها فينبغي تركها أحياناً حتى لا تشبه الفرض، كما استحب أكثر العلماء أن لا يداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع أنه قد ثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم فعلها، فإذا كان يكره المداومة على ذلك فترك المداومة على ما لم يسنه النبي صلي الله عليه وسلم أولى، وإن صلاها الرجل بين الأذانين أحياناً لأنها تطوع مطلق، أو صلاة بين الأذانين كما يصلي قبل العصر والعشاء لا لأنها سنة راتبة فهذا جائز، وإن كان الرجل مع قوم يصلونها، فإن كان مطاعاً إذ تركها وبين لهم السنة لم ينكروا عليه بل عرفوا السنة، فتركها حسن، وأن لم يكن مطاعاً ورأى أن في صلاتها تأليفاً لقلوبهم إلى ما هو أنفع، أو دفعاً للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبولهم له ونحو ذلك فهذا أيضاً حسن(٤٠).

فالعمل الواحد يكون فعله مستحب تارة، وتركه تارة باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته، كما ترك النبي صلي الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد إبراهيم، وقال لعائشة: (لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها بابين، باباً يدخل الناس منه، وباباً يخرجون منه)(٤١)، فترك النبي صلي الله عليه وسلم هذا الأمر الذي كان عنده أفضل الأمرين للمعارض الراجح، وهو حدثان عهد قريش بالإسلام لما في ذلك من التنفير لهم، فكانت المفسدة راجحة على المصلحة، ولذلك استحب الامام أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو أفضل، إذا كان فيه تأليف المأمومين، مثل أن يكون عنده فصل الوتر أفضل بأن يسلم في الشفع، ثم يصلي ركعة الوتر، وهو يؤم قوماً لا يرون إلا وصل الوتر، فإذا لم يمكنه أن يتقدم إلى الأفضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقته لهم بوصل الوتر أرجح من مصلحة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه، وكذلك لو كان ممن يرى المخافتة بالبسملة أفضل أو الجهر بها، وكان المأمومون على خلاف رأيه، ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان جائزاً حسناً(٤٢).

وكذلك لو فعل خلاف الأفضل لأجل بيان السنة وتعليمها لمن لم يعلمها كان حسناً مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعوذ أو البسملة ليعرف الناس أن فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة، كما ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح، فكان يكبر ويقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك" قال الأسود بن يزيد: "صليت خلف عمر أكثر من سبعين صلاة فكان يكبر ثم يقول ذلك"٤٣ ، ولهذا شاع هذا الاستفتاح حتى عمل به أكثر الناس، وكذلك كان ابن عمر وابن عباس

---

(٣٨) المرجع السابق،ص٣٠٩.

(٣٩) المرجع السابق،ص٣١٠.

(٤٠) المرجع السابق،ص٣١١.

(٤١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري

(٤٢) المرجع السابق،ص٣١٢.

(٤٣) رواه مسلم في صحيحه

يجهران بالاستعاذة، وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة، وهذا عند الأئمة الجمهور الذين لا يرون الجهر بها سنة راتبة، كان ليعلم الناس أن قراءتها في الصلاة سنة، كما ثبت أن ابن عباس صلى على جنازة فقرأ بأم القرآن جهراً، وذكر أنه فعل ذلك ليعلم الناس أنها سنة(٤٤).

فهذه الأمور وإن كان أحدهما أرجح من الآخر، فمن فعل المرجوح فقد فعل جائزاً، وقد يكون فعل المرجوح أرجح للمصلحة الراجحة، كما يكون ترك الراجح أرجح أحياناً لمصلحة راجحة، وهذا واقع في عامة الأعمال(٤٥).

ل/ قيام الشخص المناسب بالعمل المناسب في الوقت المناسب :

إن الأشخاص لهم استعدادات وإمكانيات جسدية وروحية إيمانية يتفاضلون فيها، كما إن الأعمال نفسها تتفاضل بحسب أسباب مباشرتها، وبحسب نوعها وكيفيتها وعددها والأجر المرتب عليها، وبحسب منفعتها للشخص وغيره، وبحسب حاجة الإنسان والمجتمع إليها ونحو ذلك، وفعل الشيء المناسب في الوقت المناسب من الشخص المناسب، في المكان المناسب هو المطلوب، وقد قرر رحمه الله هذا الأسلوب الأمثل في عدة مواضع من كتبه، منها قوله: الأفضل يتنوع بتنوع أحوال الناس، فمن الأعمال ما يكون جنسه أفضل، ثم يكون تارة مرجوحاً أو منهياً عنه، كالصلاة، فإنها أفضل من قراءة القرآن، وقراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، ثم الصلاة في أوقات النهي – كما بعد الفجر ووقت الخطبة – منهي عنها، والاشتغال حينئذ إما بقراءة أو ذكر أو دعاء أو استماع أفضل من ذلك، وكذلك قراءة القرآن أفضل من الذكر، ثم الذكر في الركوع والسجود هو المشروع دون قراءة القرآن، وكذلك الدعاء في آخر الصلاة هو المشروع دون القراءة والذكر، وقد يكون الشخص يصلح دينه على العمل المفضول دون الأفضل، فيكون أفضل في حقه، كما أن الحج في حق النساء أفضل من الجهاد، ومن الناس من تكون القراءة أنفع له من الصلاة، ومنهم من يكون الذكر أنفع له من القراءة، ومنهم من يكون اجتهاده في الدعاء لكمال ضرورته أفضل له من ذكر هو فيه غافل، والشخص الواحد يكون تارة هذا أفضل له، وتارة هذا أفضل له، ومعرفة حال كل شخص وبيان الأفضل له لا يمكن ذكره في كتاب ، بل لابد من هداية يهدي الله بها عبده إلى ما أصلح، وما صدق الله عبد إلا صنع له(٤٦).

وقال: "ولهذا كان الرباط في الثغور أفضل من المجاورة بمكة والمدينة، والعمل بالرمح والقوس في الثغور أفضل من صلاة التطوع، وأما في الأمصار البعيدة من العدو فهو نظير صلاة التطوع....، وهذه الأعمال كل منها له محل يليق به هو أفضل فيه من غيره، فالسيف عند مواصلة العدو، والطعن عند مقاربته، والرمي عند بعده، أو عند الحائل كالنهر والحصن ونحو ذلك، فكلما كان أنكى في العدو وأنفع للمسلمين فهو أفضل، وهذا يختلف باختلاف أحوال العدو، وباختلاف حال المجاهدين في العدو، ومنه ما يكون الرمي فيه أنفع، ومنه ما يكون الطعن فيه أنفع، وهذا مما يعلمه المقاتلون ...، وأن رجلاً قال: "لا أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام"، فقال علي بن أبي طالب: "الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله"، فقال عمر بن الخطاب: "لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك"، فسأله، فأنزل الله هذه الآية، فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف، ومن الإحسان إلى الحجاج بالسقاية، ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: "لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود"(٤٧).

وباب تفضيل بعض الأعمال على بعض، إن لم يعرف فيه التفضيل، وأن ذلك قد يتنوع بتنوع الأحوال في كثير من الأعمال، وإلا وقع فيها اضطراب كثير، فإن في الناس من إذا اعتقد استحباب فعل ورجحانه يحافظ عليه ما لا يحافظ على الواجبات، حتى يخرج به الأمر إلى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية، كما تجده فيمن يختار بعض هذه الأمور فيراها شعاراً لمذهبه، ومنهم من إذا رأى

---

(٤٤) المرجع السابق، ص٣١٣.

(٤٥) المرجع السابق،ص٣١٤.

(٤٦) المرجع السابق، ص٣١٥.

(٤٧) المرجع السابق،ص٣١٦.

ترك ذلك هو الأفضل، يحافظ أيضاً على هذا الترك أعظم من محافظته على ترك المحرمات حتى يخرج به الأمر إلى اتباع الهوى والحمية الجاهلية، كما تجده فيمن يرى الترك شعاراً لمذهبه، وأمثال ذلك، وهذا كله خطأ[٤٨].

والواجب أن يعطي كل ذي حق حقه، ويوسع ما وسعه الله ورسوله، ويؤلف ما ألف الله بينه ورسوله، ويراعي في ذلك ما يحبه الله ورسوله من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية، ويعلم أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وأن الله بعثه رحمة للعالمين، بعثه بسعادة الدنيا والآخرة في كل أمر من الأمور، وأن يكون مع الإنسان من التفصيل ما يحفظ به هذا الإجمال، وإلا فكثير من الناس يعتقد هذا مجملاً ويدعه عند التفصيل، إما جهلاً، وإما ظلماً، وإما اتباعاً للهوى[٤٩].

الخاتمة

أهم النتائج :

توصلت إلى النتائج التالية التي تمكن بها من تحقيق أهداف الدراسة ، وذلك عن طريق الإجابة عن أسئلتها المذكورة سابقاً، والنتائج هي :

١/ تبين أن ابن تيمية نشأ في بيت علم وفضل .

٢/ بلغت أعمال ابن تيمية في مختلف الفنون ثلاثمائة وأربعة عشر مخطوطاً ، في اثنين وخمسين موضعاً مما يدل على إسهامه إسهاماً كبيراً في التعليم.

٣/ من المعاني والمفاهيم التي يدور عليها معنى التربية عند الإمام:

أ/ لابد في التربية من العلم ، فالمرء يجب أن يكون عالماً بما يربى به.

ب/ على المربي:

* أن يكون عاملاً بما يربى الناس عليه .

* أن يختار الأسلوب الأمثل في التربية .

* عارفاً بأحوال من يربيه .

٤/ من الأساليب التربوية التي تعنى بالجوانب العقلية :

أ/ تنمية العقل وتزكيته بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب/ التفريق بين هداية الرحمن وبين ضلالات الشيطان .

ج/ ترويض العقل وإثارته بما يناسبه من المهارات العقلية والعلمية الناقصة .

د/ توفير بيئة سليمة فكرياً تحفظ العقل من الانحراف.

هـ/ التمثيل والتقدير الذهني والاعتبار بالمعلوم لتصور المذكور القيمي.

و/ مراعاة الاستعدادات العقلية في وضع الشخص في المكان المناسب.

---

(٤٨) المرجع السابق،ص٣١٧.

(٤٩) المرجع السابق،ص٣١٨.

التوصيات :

١/ إبراز مكانة العلماء المسلمين في المجال التربوي وغيره .

٢/ إجراء دراسات حول مدى إمكان تطبيق الأساليب التربوية التي خلفها علماء المسلمين والربانيون في المؤسسات التربوية المختلفة ومناهجها .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابن فصيح، ابراهيم بن محمد(١٩٩٠م) القصد والإرشاد فى ذكر اصحاب الإمام أحمد، مكتبة الرشد، الرياض.

٢. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٩٩٨م) مجموع الفتاوى، مكتبة العبيكان،الرياض.

٣. أبوزيد، بكر بن عبدالله،(١٤٢٢ هـ) المدخل إلى آثار شيخ الاسلام بن تيمية ومالحقها من أعمال، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٤. الدمشقى، محمد بن أبى بكر الزرعي (ابن القيم) (١٩٩٦)الكافية الشافية فى الانتصار للفرق الناجية (القصيدة النونية)، دار بن خزيمة، الرياض.

٥. المقدس، محمد بن أحمد بن عبدالهادى، العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام بن تيمية، دار كتاب العرب، بيروت.

٦. القرطبى، محمد بن أحمد(١٩٩٤م) الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث القاهرة.